

هايتي تجرب روح التعاون

إن الأخبار الآتية من هايتي تعطي فكرة عن الفوضى المتوقعة على أثر الوضع الاستثنائي الذي أدت إليه الكارثة.

سادت في اللحظات الأولى المفاجأة، الدهشة، الاضطراب والتأثر الشديد، التمنيات بتقديم المساعدة مباشرة في أنحاء المعمورة النائية. ماذا نبعثه وكيف نقوم بذلك من أماكن تقع على عشرات الآلاف من الكيلومترات، من الصين، الهند، فيتنام إلى زاوية بالكاربي؟ تولد أبعاد الزلزال وفقر البلد أفكار عن احتياجات خيالية في اللحظات الأولى، مما يؤدي إلى كل أنواع الوعود ويحاولون إيصال المساعدات عن طريق أي وسيلة.

إن الكوبيين فهمنا أن أهم شيء في تلك الوهلة كانت إنقاذ حياة البشر، وكنا قد تدربنا لذلك من أجل مواجهة مثل تلك الكوارث وليس فحسب، بل وإنما كذلك كوارث طبيعية أخرى تؤثر على صحة الإنسان.

كان هناك مائات الأطباء الكوبيين، وإلى جانبهم، عدد كبير من الشباب الهايتيين الذين ينحدرون من عائلات كادحة وقد تحولوا إلى محترفين في الصحة وهم مدربون بشكل جيد. وقد كنا ولا نزال نتعاون مع هذا البلد الجار الشقيق بهذه المهمة. كان بعض رفاقنا يتمتعون بعطلتهم وآخرون من أصل هايتي كانوا يتدربون أو يدرسون في كوبا.

تجاوز الزلزال أي أحشاء توقعنا؛ لم تستطع البيوت الفقيرة المبنية من الطين والطوب أن تقاوم الظروف وتبقى - بمدينة لديها حوالي مليوني نسمة. انهارت منشآت حكومية متينة وأحياء كاملة حيث غطت البيوت على ساكنيها، الذين كانوا في بيوتهم بتلك الساعات الأولى لليل وأصبحوا مدفونين تحت الأطلال، وهم على قيد الحياة أو موت. كانت الشوارع حافلة بالجرحى الذين يتطلبون النجدة. أصبح المينوستا (قوات الأمم المتحدة)، والحكومة والشرطة دون قيادة ولا أركان. وبأول وهلة كانت مهمة تلك المؤسسات تجاه الآلاف من البشر معرفة من وأين الذين هم ما زالوا على قيد الحياة.

وقد قرر مباشرة أطباؤنا الذين كانوا يعملون في هايتي بتفاني وكذلك الشباب الأخصائيين في الصحة المتخرجون من كوبا، قرروا الاتصال ما بينهم، التعرف على مصيرهم وتحديد الامكانيات المتاحة لمساعدة ورعاية الشعب الهايتي أمام تلك المأساة.

واستعد فوراً أولئك الذين كانوا يتمتعون بعطلتهم في كوبا للمغادرة وكذلك الأطباء الهايتيين الذين كانوا يتخصصون في وطننا. خبراء كوبيون آخرون تخصصهم الجراحة وهم اشتركوا بمهام صعبة سابقا قدموا أنفسهم للمغادرة معهم. يكفي القول بأنه قبل 24 ساعة كان أطباؤنا قد عالجوا مائات المرضى. اليوم، 16 كانون الثاني/يناير، بعد ثلاثة أيام ونصف فقط من المأساة يصل إلى عدة آلاف عدد المتضررين الذين تمت رعايتهم من قبلهم.

اليوم، السبت، خلال ساعات الظهر، أخبرتنا قيادة فرقنا المعلومات التالية:

"...فعلان العمل الذي يقوم به الرفاق جدير بالمدح والثناء. هناك اجماع على أن ما قمنا به في باكستان يمكن اعتباره قليلاً بالمقارنة مع هذا - جرى هناك زلزال آخر حيث عمل بعضهم -؛ في ذلك البلد غالباً ما كانوا يعالجون حالات كسر العظام، بعضها لم يتم ترسيخها وتوطيدها بعد، وبعض حالات سحق، ولكن هنا تم تجاوز كل ما يمكن تصويره: عدد كبير من حالات لبتير الأعضاء، عملياً لا بد من القيام بالعمليات الجراحية أمام الناس؛ انها صورة الحرب، كما تصورناها."

"...أصبح يعمل مستشفى دلماس 33؛ لديه 3 غرف للعمليات الجراحية، مع محطات كهربائية، عيادات طبية، وهلم جرا، ولكنه حافل تماماً بالمرضى."

"... انضم 12 طبيب تشيلي، أحدهم أخصائي في التخدير؛ وصل كذلك 8 أطباء فينيزويليين؛ 9 راهبات إسبانية، من المنتظر انضمام 18 إسباني الذين كانت الأمم المتحدة والصحة العامة الهايتية قد أعطتهم المستشفى، ولكن كان ينقصهم معطيات لتقديم العناية المركزة العاجلة التي لم تستطع أن تصل بعد، ولذلك قرروا الانضمام إلينا وبداية العمل فوراً."

"... تم بعث 32 طبيب مقيم هايتي، ست منهم كانوا يذهبون مباشرة إلى كاريفور، وهو مكان تم تدميره بالكامل. سافرت كذلك الفرق الثلاثة الكوبية للجراحة التي وصلت البارحة."

"... إننا نعمل في المنشآت الطبية التالية ببوارتو برينسيبي:

مستشفى النهضة (لا خينا ساس)

مستشفى التأمين الاجتماعي

مستشفى السلام."

"... أصبحت تعمل أربعة مراكز للتشخيص المتكامل."

تنقل هذه المعلومات مجرد فكرة عما تقوم به الفرقة الطبية الكوبية و فرق البلدان الأخرى التي تعمل وإياهم، وهم بين الأوائل الذين وصلوا إلى هذه الأمة. إن مجموعاتنا مستعدة للتعاون ولرص الصفوف مع سائر الاخصائيين في الصحة الذين تم بعثهم لانقاذ حياة أبناء شعب هايتي. يمكن لهايتي أن تتحول إلى مثال لما تستطيع الانسانية أن تعمل وتفعل من أجلها. تتوفر الامكانية والوسائل ولكن تنقصنا الارادة.

كلما يتآخرون أو حرق جنث الموتى وتوزيع الأغذية ومنتجات أولية ورئيسية أخرى، تزداد أخطار انتشار الأوبئة والعنف الاجتماعي.

سوف يوضع في هايتي في موضع التجربة كم تستطيع أن تبقى روح التعاون، قبل أن تسود الأنانية، الشوفينية، المصالح الضيقة والحقيرة والاحتقار حيال الأمم الأخرى.

يهدد التغير المناخي الانسانية. يذكرنا زلزال بوارتو برينسيبي، الذي حدث ثلاثة أسابيع فقط بعد اجتماع كوبينهاغن، إلى أي درجة كنا أنانيين ومتكبرين هناك.

تتابع البلدان عن كثب كلما يحدث في هايتي. إن انتقادات الرأي العام العالمي والشعوب التي لا ترحم ستزداد صرامة وشدة أكثر فأكثر.

فيدال كاسترو روز
16 كانون الثاني/يناير عام 2010
الساعة 7:46 مساء

تاريخ:

16/01/2010

http://www.fidelcastro.cu/ar/articulos/hyty-tjrb-rwh-ltwn?width=600&height=600 Source URL: